اللعب والخيال

بيان عثمان
لائقة الحموري *

للعب دور كبير في تنمية الذكاء الخلاق لدى الأطفال، فهو يؤدي إلى النمو الاجتماعي وتطور الإبداع الفكري لديهم. فمن خلال اللعب تتوسع آفاق ومدارك الطفل بشكل عام. ونستطيع القول أن قصص الأطفال -كمدخل من مداخل اللعب- ضرورية لتطورهم، حيث تقوم كلمات القصة بتحفيز انتاج صور داخلية متناغمة مع الكلام. فيفقد المجاز الصورة العقلية القادرة على بناء جسر بين المعاني المختلفة، يقوم بإظهار التشابه بينها، أو التعبير عن شيء آخر، وذلك بنقل المعنى من مستوى لآخر. ويستطيع التفكير المجازي خلق معان جديدة عن طريق تقريب الصور بطرق مختلفة، واقتراح اتجاهات جديدة للنشاط الإبداعي. أما عن الرمزية فقد أشارت سوزان لانجر إلى أنها هيكل لمفاهيم الأشياء. فالكلمات تشير إلى أشياء معينة لدينا مفاهيم عنها، وليست الأشياء هي ما تعنيه الرمزية.

من هنا يمكن القول ان اللغة المجازية الرمزية، تستطيع إقتراح تصورات لا يمكن بنفسها أن تُحكى، وهذا هو السبب الذي من أجله كان الشعر أداة قوية لتحويل العقل إلى ما وراء المادة.

إن القدرة المجازية الرمزية، هي الوظيفة الرئيسية لمرحلة الطفولة،التي تتأسس عن طريق اللعب. ويكون لسرد القصص هنا دور رئيسي. لقد لعبت الكلمة المنطوقة دوراً هاماً منذ كان الطفل بالرحم، ففي الوقت والمكان المناسبين تقوم الكلمات الصحيحة، بتحفيز الدماغ لخلق صور مطابقة. وعلى سبيل المثال، حين يستمع الطفل إلى قصة الدببة الثلاثة، يكون مستعداً لتحويل القصة إلى واقع وذلك بإستخدام تدفق صور داخلي من صنعه، ومن ثم وضعها في حافز خارجي مناسب، بحيث يربط عالمه الخارجي مع صور داخلية. وهذه خطوة مهمة بإتجاه الإبداع والتطبيق، وحين تجلس العائلة إلى مائدة الطعام، يقول الطفل: "آه أنه ساخن جداً" ويدفع بحسائه بعيداً ويصر على الذهاب في نزهة إلى أن يبرد الطعام - كما يحدث في القصة تماماً، بحيث يصبح ومن حوله أبطالاً مشتركين في انتاج خارجي لما في خياله.

* كلية الآداب - جامعة فيلادلفيا

إن معظم خصائص قصص الطفولة المبكرة، تتمثل بخلع صفة الإنسانية على الحيوانات، كما في قصة الدببة الثلاثة المشار إليها سابقاً. إذ أن هناك علاقة غريبة تربط الأطفال بالحيوانات، حيث نرى العديد من حالات التخاطر بين الإنسان والحيوان عبر العصور. وقد لعبت الحيوانات دوراً حاسماً في أساطير الثقافات المختلفة ومثلت صور الحيوانات -مجازيا- ممثلة البشر أو رموزاً لصفات إنسانية. صورة الدب الأب الذي يرتدي البذلة ويحمل العصا ويتحدث من مركز سلطة، تقوم بجسر عالمين كما يفعل المجاز. والت ديزني مثلاً قدم حيوانات على شكل إناس لهم رؤوس أكبر من الجحم الاعتيادي، وذلك لأن الرؤوس الكبيرة هي صفة مميزة للطفولة، وبذلك يُعطي النموذج الإنساني الحيواني صفة الطفولة المبكرة. ومن الجدير بالذكر أن شخصيات الحيوانات تختفي فيما بعد وتستبدل بالإنسان.

تتحول القصص لاحقاً كما يتحول اللعب. في مرحلة الطفولة المتوسطة (سن السابعة) يختلف الإتجاه إلى العلاقات بين الإنسان والحيوان. ففي الأساطير يوجد هناك تبادل كبير بين أشكال الأنسان والحيوان بحيث يصبح الملك الجذاب وحشاً فظيعاً ويصبح الأمير الوسيم ضفدعاً قبيحاً.ويصبح الطفل متشوقاً لسماع قصص عن السحر والغموض والأشخاص الخارقين وتتكون لديه رغبة جامحة بلعب دور البطل. إن اللعب في هذه المرحلة قلق وغير منظم وممهد لمرحلة سن الحادية عشرة. وحيث يصبح اللعب أكثر تنظيماً، إذ يحرص الأطفال على تطبيق قوانين وتشريعات معينة في ألعابهم. وتكون مرحلة اللعب هذه تمهيداً لمرحلة النضوج.

كما أشير سابقاً، فإن اللعب يساعد على تنمية الذكاء والنمو الإجتماعي والإبداع الفكري. وقد أثر وجود التلفاز سلباً على الأطفال. إذ حل محل رواية القصص في معظم المنازل، كما حل مكان حديث العائلة.وتشير كارول جليمان أن الجدات قد اعتدن الجلوس ورواية قصص طفولتهن لأحفادهن، حيث تعتبر هذه الحكايات حلقة وصل بين الأجيال، وتمنح الأطفال حساً بالتاريخ ومعنىً مستمراً للحياة بحيث تبقى عالقة في أذهانهم. فتنقل الجدات التراث لهم عن طريق القصص. والامتناع عن الإستماع للقصص بسبب الإنشغال بالتلفاز هو أول الأضرار لما للقصص من أهمية. أما الضرر الثاني فلم يعد الآباء يلعبون مع أبنائهم منذ ظهور التلفاز كما اضمحل اللعب بين الأخوة والأقارب والأصدقاء، فلم يعد هنالك مجال لتطوير خيال الأطفال.

ولعل أكثر الأمور ضرراً يتمثل في أن التلفاز قد دخل عقل الطفل بصورة خيالية، في الوقت الذي يجب أن يتعلم فيه دماغه تكوين صور داخلية خيالية. فقد قالت طفلة يوماً أنها أحبت المذياع أكثر من التلفاز لأن الصور كانت أجمل إذا أعطت كلمات المذياع الحافز بحيث كانت الصور الجميلة من إبداعها هي. وعلى النقيض فإن التلفاز يزود الطفل بالمثير والإستجابة معاً، بينما يزود اللعب الأطفال بالمثير ويكون على الطفل التفكير بالإستجابة. وبناءً عليه يعتاد العقل على الخمول وبالتالي يصبح الجهل أسلوباً للحياة. ويصبح التفكير والإبداع بعيدين وغير مهمين. فكيف سيشتاق الإنسان إلى شيء لا يعرفه؟ شيء لم يكن يوماً لديه؟

من كتاب: نهاية التطور،الوصول إلى إمكانية الذكاء، لجوزيف شيلتون بيرس، بتصرف.

قسيمة اشتراك

الاسم: _____

العنوان الكامل: _____

أرجو إدراج اسمي (اسم المؤسسة) على قائمة المشتركين.

التوقيع

---

* ترسل طلبات الاشتراك إلى العنوان التالي:

جامعة فيلادلفيا ص.ب (1101) - عمان - الأردن (10-119)

«مجلة فيلادلفيا الثقافية»

* قيمة الاشتراك السنوي للأفراد خمسة دنانير أردنية أو مايعادلها.

* قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات عشرة دنانير أردنية أو ما يعادلها.

٩٤/ت١١٩٢

حوار للفنان

محمد أبو زريق